الأدب يسجله التاريخ

عمـــرو بن العاص

للسيدة وداد سكاكيني

كان لي عجب أن رأيت الأستاذ عباس محمود العقاد ، على غير ما خُيل إليَّ ونعت ، فلما لقيته تهيبت جانبه وتحيرت في تحيته فوجدتني أدير على لساني كلاماً أستل به ملامة وقرت في نفسه يوم دفعت عن المرأة ما شاء الأستاذ الجليل أن يصمها به من الفشالة في الفن والضآلة في العبقريات ، وقد كنت في سوالف الخيال أحسبه قد بسط على منكبيه من أدبه المتين بردين من العنجهية والخيلاء ؛ ولكن حين أتيت مصر سألت عنه من يعرفه فوصف لي بغير ما حسبت ، ولما سمعته صغَّر الخَبَر الخُبرُ رجل جبار القامة ، رفيع الهامة ، وديع الطلعة ، يفيض حديثه من علم عقله وشعور قلبه ووحي ضميره ، ويمد ببصره إلى أغوار الكلام فيتناول لآلىء المعاني ، ويجول في آفاق الفكر تجوال الأديب المكين . قلت له لا تثريث على أن يكون أول ما أرى من مآثر مصر أدبها الحي ووثبتها المرموقة في نوابغها وقادة الفكر فيها ، ونحن وإن اختلفنا في الرأي والمقالة ؛ فإننا نرجع إلى الحرية . فتبسم عن رضى وتألقت فيه نفس الأديب الكريم

ومر عان ما عكفت بعد لقياه على كتابه الجديد (عمرو بن العاص) فقرأته بإعجاب نسيت فيه ما كنت أحسه من كآبة الاغتراب في نفسي ، وألفيتني أستمع للتاريخ وأتدبر الأحداث ، فإذا أنا بين دفتي كتاب على نسق العبقريات ، وسمه ناشروه بأعلام الإسلام ، فكان فاتحة لجهدهم المحمود . جلا فيه العقاد عمراً في شخص فذ عظيم من شخوص العرب الذين صمدوا للدهر وتركوا في الدنيا دوياً ، فقرب المؤلف بلباقته وبراعته ما تناءى من التاريخ على القارئين . ومن للناس في كل حين بالطبري والدميري والطبقات والسير وكتب التراجم والأخبار ، فهم إن عركوا أوراقها ومزقوا جلودها من طول البحث فيها والتنقير ما حصلوا منها على طائل ولا نالوا من نائل ، حتى كانت منالة الأدب الحديث ، فأورد القراء بكرام الكاتبين موارد السهولة في التاريخ والسير ، إذ سكبوا بيانهم على الحادثات الغوابر ، فردوها نواضر وبعثوا أمجادها للأجيال لتكون لهم فيها أسوة ومنفعة

وكذلك فعل العقاد في كتابه الجديد ، فارتديت رداء امرأة من نساء العرب وخلطت نفسي بنسوة من قريش يعجبن بصنع عمرو وخليقته ، ويرين إلى أبيه العاص بن وائل وهو في الذروة من بني سهم فيشفقن مما يخوض به الرجال من ملامز عمرو بن العاص وضعة نسبه لأمه السبية ، وأنها كانت كبرى المغنيات في مكة وآخذهن لأجرة . فقلت لله هؤلاء العرب الأشداء الذين عبدوا أنسابهم فتنافسوا فيها وناشدوا بها الرجال والنساء ، وأرادوها في الخيل والسيوف ! ثم رأيت عمراً وقد أقضت مضجعه هذه القرحة الدامية ، وأنداده في صحة منها وعافية ، صليبتهم نقية وحسبهم معروف ، فكانت مغامز الحساد لابن العاص حوافز مرهفة لتعاليه ونشدانه البسطة في الوجاهة والثروة . وقد أعدته المواهب والشمائل لبلوغ ما صبا إليه في زهو الشباب ، وكان يرى بلحظ الغيب نصيباً من المجد والسلطان أدركه في عنفوان الرجولة وفي عهد الفتح المبين

لقد عرض الأستاذ العقاد عمراً في مماريض الدهاء المبكر ؛ إذ كان يحل خلافاً قد استحكم بين طلحة بن عبيد الله والزبير ابن العوام . وإذا بالإسلام يظل العرب فيندبه الرسول عليه السلام ليحكم بين جماعة من قومه يهددون المسلمين فيكسر ابن العاص شوكة الظالم ويفل جمع الباغين بدهائه وفطنته ، فتتطامن له الشجاعة والحيلة ، ويزكو ذكاؤه مع الأيام القابلة وهو ما يزال يحس بين جنبيه هذه الشوكة الناخزة في نسبه لأمه التي يجهر بخبرها الناس إذا خلا بعضهم إلى بعض ، ويسرونها كلما رأوه فيزداد طموحه وتغريه وثبات هذا الطموح بالتماس

الأسباب للغلاب بالأمارة والز ـة على من يفاخرونه بشرف الأمومة

ويموت أبو عمرو ، وكان م ـسراة السهميين ، فأخو عمرو يرث أباه ويكون ذا مال ، وعمرو قل فقير ، فأين ماله من أبيه ؟ ها هنا يقلب الأستاذ العقاد و ـه الرأى ومدار البحث حول هذه المسألة ، فيرينا عمراً وقد بز ـ بافظاً على رضى أبيه . ولم يسلم حتى مات أبوه الذى رغب عن الـ ـسلام ، وأنه لا يبعد أن يكون عمرو قد أصاب شيئاً من الميراث نفق منه ما أنفق بعـد يأسه من تجارة الحبشة والشام ، ولم ـ له عند ولايته على مصر إلا اليسير . على أنى أجد تعليلاً لـ ـ عمرو سهلاً هيناً ، أفلم تقل أمه : أنظروا من يشبه فألحقوه . وكان عمرو فى صغره يرعى غنما لأبيه ، ثم صار جزاراً . ومـ ـلتك بشيخ من أقرام العرب كالعاص بن وائل أبى عمرو يبلغه هذا الطعن فى نسب ولد يُعزى إليه ولم يكن للعرب يومئذ حكـ ـة يدفعون بها عن أنفسهم ما لحقهم من سوء الأنساب ولاد يعزون إليهم كرهاً ، وكيف حاول أبو سفيان إخفاء ـسب ابنه زياد ، فلا يبعد أن يلجأ العـاص بن وائل إلى حرمان عمرو من ماله وهو عنده شيء مادى مقدر ومقوم بالدينار والدرهم . وكان من خصال بنى سهم المطال فى الدين وكم كانوا له يلوون ! ولعله قال يكفى عمراً أن ينتمي ويدعى إلى العاص

ولا جرم أن مثل هذا الخاطر مر ببال الأستاذ العقاد ، ولـكن ما كشفت عنه نصوص الرواية . وكان جهده فى حقائق التاريخ أسد الآراء وأبلغ الحجج ؛ فإذا علل الأستاذ المؤلف سر طموح ابن العاص وتعاليه بفقدان نسبه الطيب لأمه ، فما أحرى التعليل بميله للمال وتكالبه عليه لحرمانه الميراث

أما نفس ابن العاص فقد حلل العقاد تفاريقها وألوانها من وجهات عدة ؛ فآونة عرضها فى نفس متهالك على الثراء ، وجاء بالبرهان على ذلك فى أقوال عمرو وأفعاله منذ عهد الرسول إلى وفاته بمصر بعد فتحها الثـانى . وآونة يشرح بديهته ودرايته واضطلاعه بالحكم والولاية ، وظفره بالثقة والخبرة اللتين مكنتاه من الفتح والنضال ، فهو فى حضرة البطريق ينجو من مكيدة ، وهو فى مبارزته للامام على ينجو بالحيلة والدهاء

وهذا عمرو كهلاً يدلف إلى أعز العمر بأساً وحصافة ، فهو فاتح فلسطين ثم فاتح مصر مرتين . وهذا عمرو شيخاً منهوماً يتلهف شوقاً إلى المال وله ضيعة وحشم ، ويكون من همه بعـد أن عزت عليه الخلافة أن تـكون له مصر ولاية جامعة ، فينال ما يبتغى ويموت فيها ويدفن فى ثراها

قلت ما أحسن كتباً يطرف بها الناس أديب الـكنانة الأستاذ العقاد ، فهو بعد أن طوف طويلاً فى آفاق فنه بالأدب الصرف ، تلفت صوب الماضى الأغر واتصل بمآثره الخالدة ، فعاد منها بما غاب عن القارئين وزودهم بعبقريات وهاجة فى تاريخ الإسلام تضيء فى محمد بن عبد الله وصحبه وأبطاله ، وهذا لعمرى أجل فضل يؤديه الأديب للسيرة والتاريخ .

وما انتهيت من كتاب العقاد (عمرو بن العاص) حتى قلت : يا لله لمصر الخيرة ، ويا لمجد العرب فيها ! لقد ملـكوها ردحاً من زمان فى عهد الفراعنة ، وكانوا رعاة إبل وغنم يسمون « الهيكسوس » ؛ وفتحوها فى عهد الإسلام ، وهم أهل دين وحضر ، وكانوا يسمون صحابة رسول الله !

(القاهرة) دواد سفاكيني

إدارة البلديات ـ مباني

تقبل العطاءات بإدارة البلديات (بوستة قصر الدوبارة) لغاية ظهر يوم ٢٢ أبريل سـنة ١٩٤٤ عن عمليـة إنشاء مراحيض ومبايل بجهة الأربعين بالسويس وتطلب الشروط والرسومات من الإدارة على ورقة دمغـة فئـة الثلاثين مليما نظير ١ جنيه و ٥٠٠ مليم بخلاف ٦٠ مليما مصـاريف البريد .

٢٠٥٧